الحياة ولكنها لا تتسع لتمثيل روايتها الكبرى بأصواتها المنوعة وأصدائها المختلفة المتجاوبة» .

ونحن لا نريد أن نناقش هذا الرأى إلا بآراء العقاد الأخرى نفسها فنسأل كيف يمكن أن ينطق الشاعر بكافة النغمات المتناقضة المتضاربة ، بل لنقل المتناغمة المتجاوبة أو المتكاملة مادام العقاد نفسه يطالب الشاعر بأن يكون شعره صورة لنفسه . والغالب أن تكون النفس ذات لون خاص واتجاه معين ، ومطالبتها بأن تجمع بين الاتجاهات والألوان والنغمات كافة مطالبة لها بما ليس فيها . وهذا يناقض نظرية العقاد العامة كما يناقض ما نستطيع أن نستخلصه من الآداب كافة مطالبة لها بما ليس فيها . وهذا يناقض نظرية العقاد العامة كما يناقض ما نستطيع أن نستخلصه من الآداب كافة ، وإلا لجاز أن نتنكر لشعر الرومانسيين مثلا لأنهم لم يصدروا فى كل شعرهم إلا عن حالة نفسية محددة لا تعدد فيها ، ولم يعزفوا إلا على وتر واحد ، بل إن وتر كل فرد منهم يختلف عن وتر الآخر ، وفى هذا تمكن أصالته الفريدة ، ونحن نقرأ دواوين عدد من كبار شعرائنا المعاصرين فيخيل إلينا أحيانا كثيرة أننا لم نقرأ غير قصيدة واحدة متنوعة فدواوين «ناجى» مثلا تكاد تكون قصيدة غرام متصلة . وديوان «الشابى» يكاد يكون ثورة نفسية متلاحقة الانفجار ، ودواوين على محمود طه تكاد تكون فرحة مستمرة بالحياة . ودواوين شكرى تكاد تكون تأملا متصلا واستبطانًا مستمرًا لذاته . ومن المؤكد أننا لا نستطيع أن ننكر العظمة على كل هؤلاء الشعراء لمجرد أنهم لم يعزفوا على كل النغمات وهنا نلتقى برأى العقاد الأول المتماشى مع نظرته العامة للشعر .